



الحمد لله العليم الحفيظ، القوي المتين؛ {يُبَدِّلُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفَاعَيْ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} [يونس: 3] نحمده فهو المحمود في الأرض وفي السماء، المذكور في كل الأزمان والأحوال، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ له في خلقه شؤون يقضيها، وله في عباده أقدار يمضيها، وله في شرائعه أحكام يفرضها ويبينها، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله؛ بشر المؤمن بأن أمره كله يؤول إلى خير «...إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ» فلا يجزع مؤمن من بلاء أحاط به، ولا يبطر بنعمة تجذبت له، وهو متقلب بين الصبر والشکر، ونائل بذلك عظيم الأجر، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطیعوه، وتوکلوا عليه فمن توکل عليه کفاه، ولوذوا به فلا حمى إلا حماه، وثقوا بوعده فإنه سبحانه لا يخلف الميعاد، وأنبوا إليه فإنكم في حاجة إليه، وعلقوا به قلوبكم فلا حول للعبد ولا قوة إلا به {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بِالْعِلْمِ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا} [الطلاق: 2-3].

أيها الناس: الكيد والمكر لفظان يدلان على خطر يحيط بمن قصد بهما، كما يدلان على جبن وعجز من يتخلق بهما؛ لأن من شأن العلاقات بين البشر أن تكون واضحة، ولا تلğa إلى المكر والکید. ولذا لم يذكر هذان اللفظان في حق الله تعالى إلا على وجه المقابلة {وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} [آل عمران: 54] {إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا} [الطارق: 16] أي: أن الله تعالى يمکر بمن يمکر به وبأولیائه، ويکید بمن يکید به أو بهم. ومقابلة الماکر أو الكائد بمکره وکیده، وقلبه عليه يمدح

ولا يذم، وإنما الذم في الاستسلام لكيد العدو ومكره؛ ولذا قال سبحانه **وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاκِرِينَ** [الأنفال: 30] وقال سبحانه **وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ** [يوسف: 52].

والتلخق بالكيد والمكر، والابتداء بهما؛ كان صفة أعداء الرسل عليهم السلام، فما مننبي ولا أتباع النبي إلا كاد بهم أعداؤهم ومكرروا بهم، وتلك سنة ماضية في القرون يلقاها أتباع الرسل من أعدائهم، وفي هذا يقول الله تعالى **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ** [الأنعام: 123] ففي كل زمان وفي كل مكان وفي كل مدينة وفي كل قرية مجرمون يكيدون بأهل الإيمان ويمكررون بهم، ويسعون لاجتثاثهم، ويؤذنونهم في دينهم.

فقوم أول الرسل نوح عليه السلام مكرروا به مكراً عظيماً، وصفه الله تعالى بقوله **وَمَكَرُوا مَكْرَا كُبَارَا** [نوح: 22] وكعباً: **مُبَالَغَةً** في وصف المكر، أي كبراً جداً، وقد كانوا يُدبرون الحيلة لقتل نوح وتحريض الناس على أذاه وأذى أتباعه.

وفي مكر قوم صالح عليه السلام به قال الله تعالى **وَمَكَرُوا مَكْرَا وَمَكَرْنَا مَكْرَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ** [النمل: 51]

وكان هود عليه السلام يعلم ما يدبره أعداؤه له من الكيد العظيم بسبب دعوته إلى التوحيد، وبراءته من شركهم؛ ولذا تحصن في مواجهة كيدهم بالتوكل على الله تعالى **قَالَ إِنِّي أَشْهُدُ اللَّهَ وَإِشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ** * **إِنِّي تَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَائِبٍ إِلَّا هُوَ أَخْذَ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** [هود: 54 – 56].

والخليل عليه السلام كاد به قومه كيداً عظيماً بسبب تحطيمه لأصنامهم، ودعوتهم إلى توحيد الله تعالى، وبلغ من كيدهم أن أصدروا حكماً بحرقه وهو حي أمام الناس، فرد الله تعالى كيدهم عليه، وحفظ سبحانه نبيه عليه السلام من شرهم **قَالُوا حَرَقُوهُ وَأَنْصُرُوا أَهْلَهُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعْلَمْ * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ** [الأنبياء: 68 – 70] وفي آية أخرى **فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ** [الصفات: 98].

والكليم موسى عليه السلام ناله من فرعون أعظم الكيد، فجمع له السحرة وخطبهم بأمرهم أن يكيدوا بموسى عليه السلام أمام الملا، ويسقطوا دعوته في قلوب الناس، قال فرعون كما حكى الله تعالى عنه **فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ اتُّوْصَى صَفَا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مِنِ اسْتَعْلَى** [طه: 64] وفي آية أخرى **فَتَوَلَّ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى** [طه: 60] ولكن العاقبة كانت وبالاً على فرعون وجنته، وقلب الله تعالى كيدهم عليهم، ورد مكرهم إليهم، فامن سحرتهم، وخرموا لله تعالى سجداً، وكسر كيد فرعون أمام ملئه ومملكته، وصدق الله تعالى حين قال **وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ** [غافر: 37] أي: خسران وهلاك.

أحاط به كيده، ورد عليه مكره، فخسر دنياه وآخرته، خسر سلطانه وهيبته، ومات غريباً حقيراً ذليلاً، وخسارته في الآخرة أشد وأعظم.

وال المسيح عليه السلام مكر به كفاربني إسرائيل، وأجمعوا على صلبه أمام الناس، فنجاه الله تعالى من كيدهم، ورد مكرهم عليهم، وألقى شبهه على واحد منهم، ورفعه إليه عزيزاً كريماً، وفي مكرهم بعيسى قال الله تعالى **وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاκِرِينَ * إِذْ قَالَ اللَّهُ يَأْعِسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطْهِرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ** [آل عمران: 54 – 55].

وأما نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقد مكر به المشركون واليهود والمنافقون، وأجمعوا كيدهم ضده، فحاولوا قتله أكثر من مره، وسموه وسحروه وأخرجوه، وعذبوا أتباعه، وصدوا عن دعوته، وما تركوا مكراً إلا مكره، ولا كيداً إلا فعلوه، وفي هذا يقول الله تعالى **وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ خَيْرُ الْمَاκِرِينَ**

[الأنفال:30] وأمره الله تعالى أن يتحداهم ومكرهم، وأن يعلن توكله عليه سبحانه وتعالى {قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءِكُمْ ثُمَّ كَيْدُونِ فَلَا تُنْظَرُونَ * إِنَّ وَلِيَّ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّ الصَّالِحِينَ} [الأعراف: 195-196].

وكان عاقبة أولئك المتأمرين من صناديد مكة الذين مكرروا بالنبي صلى الله عليه وسلم ليقتلوه أو ليحبسوه أو ليخرجوه أن الله تعالى مكر بهم، ورد عليهم كيدهم، فجرهم إلى بدر ليصروعوا فيها {أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ} [الطور:42] قال البغوي في معناها: أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا: أي: مَكْرًا يَكْرِهُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ، أَيْ: هُمُ الْمَجْزِيُونَ بِكَيْدِهِمْ، يُرِيدُ أَنَّ ضَرَرَ ذَلِكَ يَعُودُ عَلَيْهِمْ، وَيَحِيقُ مَكْرُهُمْ بِهِمْ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ مَكَرُوا بِهِ فِي دَارِ النَّدْوَةِ فَقُتِلُوا بِيَدِهِمْ.

وإذا تقرر أن جميع الرسل عليهم السلام قد مكر بهم أقوامهم، وكادوا بهم، ونال أولى العزم منهم أشد الكيد والمكر؛ علم أن الأصل في الكفار والمنافقين أنهم يكيدون بالمؤمنين، ويمكرون ضدهم، فإذا وجد ذلك الكيد والمكر علم أن الدعوة دعوة حق؛ لأن الأعداء لم يرضوا عنها، ويريدون اجتثاثها. وإذا لم يكن ذلك الكيد والمكر فليعلم صاحب الدعوة أن دعوته بها خلل منع عنها كيد الأعداء ومكرهم.

وإذا علم أن مكر الكفار المنافقين بالمؤمنين سنة ماضية إلى يوم القيمة فعل المؤمنين أن لا يرجعوا منه ولا يخافوا {وَلَا تَكُونُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ} [النحل:127] ولا يتنازلوا عن شيء من دينهم لاتفاقه، بل يواجهونه بالتوكل على الله تعالى، والاعتصام به، واجتماعهم على كلمة سواء؛ فإن كيد الكفار ومكرهم لا يمضي في المؤمنين إلا في حال اختلافهم وفرقتهم وتمزقهم {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} [آل عمران: 103].

وقد قال سبحانه في كيد الكفار {وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ} [غافر: 25] وفي آية أخرى {ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوْهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ} [الأنفال:18] وقال في أصحاب الفيل {الَّلَّمْ يَجْعَلْ كَيْدُهُمْ فِي تَضْلِيلٍ} [الفيل: 2] وقال سبحانه في كيد المنافقين {وَإِنْ تَصْبِرُوْا وَتَتَقُوْا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ} [آل عمران:120].

نسأل الله تعالى أن يحفظ المسلمين من كيد الكفار والمنافقين، وأن يردهم على أعقابهم خاسرين، وأن يجمع كلمة المسلمين على الحق والدين، إنه سميع مجيب.

وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم...

الخطبة الثانية:

الحمد لله حمداً طيباً كثيراً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداهم إلى يوم الدين.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطعوه {فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزُنُونَ} [الأعراف:35].

أيها المسلمون: مكر الكفار والمنافقين وكيدهم بالإسلام وال المسلمين في هذا العصر بات مكتشوفا للناس، وهو مكر عظيم لا يكاد يتصوره أحد، يستحل كل شيء في سبيل القضاء على الإسلام وال المسلمين. وبلغ مكرهم حدا سلطوا المسلمين بعضهم على بعض بالفرقة والتناحر، وتجاوزوا ذلك إلى افتعال الاضطرابات في بلاد المسلمين، وتحريك رؤوس الفتنة بالانقلابات كالدمى التي تؤدي دورها، فإن نجحت في مسعها ركنت إلى الأعداء، وسلمتهم مقدرات البلاد و مفاصلها؛ لأنهم سبب تمكן هذه الدمى وصعودها، وإن أخفقت تخلو عنها وتركوها لمصيرها المظلم، وبحثوا عن دمى جديدة يحركونها للإفساد في بلاد

ال المسلمين، وإحلال الفوضى والاضطرابات فيها.

ومهما بلغ مكرهم وكيدهم بالإسلام وال المسلمين فهو مردود عليهم ببشاره الله تعالى للمؤمنين {وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرُهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَرْزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ} [إبراهيم:46] أي: ليس مكرهم بمُتَجَاوِزٍ مكر أمثالهم وما هو بالذى ترزو ع منه الجبال. والإسلام ثابت ثبوت الجبال.

وإذا علم المؤمن أن كيدهم ومكرهم لن يضره إلا أذى، ولن يزيل المسلمين من الأرض، ولن يمحو دينهم؛ هان عليه كل ما يلقى في سبيل بقاء دينه، وثباته هو عليه، فزاده تمسكا به؛ لعلمه أن كل هذا المكر والكيد من أمم الأرض على الإسلام ليس إلا لأنه الحق من عند الله تعالى، وأن محاربيه هم أهل الباطل، تعددت ملهم ونحلهم ومذاهبيهم وأفكارهم، ولم يجمعهم إلا العداء للحق وأهله، وشرف للعبد أن يكون من أهل الحق، وأن يضحي في سبيله، وسيرتد على الماكرين مكرهم وكيدهم {وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا} [الرعد:42] {قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بِنِيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ} [النحل:26] {اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرُ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهُلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةَ اللَّهِ تَبِيَّلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةَ اللَّهِ تَحْوِيلًا} [فاطر:43].

فلنثق بالله العليم العظيم، ولنتمسك بأهداه الدين القويم، ولنحذر الكفار والمنافقين؛ فإن العاقبة للمتقين.

وصلوا وسلموا على نبيكم....

مجلة البيان

المصادر: